الفصل العاشر

تأثير الحضارة الغربية على تعطيل مفهوم الديمقراطية الإسلامية في العصر الحاضر

نودُّ التأكيد أولًا على أن الديمقراطية الغربية قد بلغت مستوى رفيعًا في الشكل والمضمون لأنها تتطور على مدى أكثر من قرنين دون توقف أو جمود أو ارتداد فالدول القائمة بها كانت مسيطرة على العالم اقتصاديًا وسياسيًا وعسكريًا وعلميًا بينما الديمقراطية في الإسلام أصيبت بالجمود والانتكاس منذ عهود الانحطاط الناشئة عن التمزق والتشرذم والدخول في حروب مختلفة مع القوى المعادية القادمة من الشرق والقوى الاستعمارية القادمة من الغرب بسبب اتساع العالم الإسلامي وتوسع دولته واهتمامها اهتمامًا جزئيًا بمضمون الديمقراطية مع إهمالها الكبير لشكل الديمقراطية الذي هو تنظيم الحكم والإدارة شعبيًا، بعد أن غرق حكام المسلمين في ترفهم وتفرقهم وانحطوا في حكمهم بالتفرد وبالاستبداد والاستكبار بعيدًا عن مبادئ الشريعة في الشورى والعدل والرشاد وسقوطهم تحت سيطرة الغزو والاحتلال العسكري والتخريب للإمبريالية الأوروبية التي تحاول سحق الشعوب ومحو أسس حضاراتها في مختلف بلدان القارات التي توغلت فيها للتجارة والنهب لثرواتها وكان نصيب العرب والمسلمين منها طمس أصول حضارتهم الإسلامية وتمزيق أوطانهم وتشويه ثقافتهم واستئصال مسلميهم بالقتل والتنصير الإجباري في أوروبا، والنفي والاستعباد والعمل سخرة في اكتشافاتهم البحرية في العالم الجديد (أمريكا). فدخل العرب والمسلمون عصر الظلم والظلام عدة قرون. وحينما أراد الأوروبيون ترسيخ احتلالهم ثقافيًا للوطن العربي اختاروا سبل الاستئصال والإبادة للغة والشعب كما حدث في بلاد المغرب العربي واستخدموا سبل التنوير التغريبي بواسطة الفرْنَجَة

والعلمنة لبعض الشخصيات الإسلامية في الفكر والسياسة والثقافة وبواسطة نقل الآداب والفنون والثقافة الأوروبية من خلال بعض الحركات المسيحية والشخصيات العربية والأجنبية والتوسع في الاستشراق المغرض لتحقيق مجموعة من الغايات القاتلة لجذور الهوية العربية والهادمة لأسس الحضارة الإسلامية وذلك باستخدامها سياسات ثقافية واجتماعية واقتصادية وعسكرية نوجز بعضها أدناه وهي:

(١)محاصرة الخلافة العثمانية منذ القرن التاسع عشر وتقليص نفوذها والتغلغل في بنيتها تآمرا وإضعافا وتمهيدا لإسقاطها وتحطيمها وتقسيم أراضيها كما حدث بعد الحرب العالمية الأولى في أوائل القرن العشرين مع إثارة النعرات القومية والطائفية في تركيا والبلدان العربية والإسلامية ثم إقامة الملكيات والإمارات والمشيخات في عموم البلدان العربية بالتجزئة والتقطيع للأقاليم بما يجعلها حاضنة في باطنها لمشاكل انفجارية سياسيه أو اجتماعية ضد العروبة والإسلام . وعزلها بالمصالح الآنية لتزداد مناعتها ضد التوحيد ومناعتها للوحدة حتى تضل فريسة لأعداء العروبة والإسلام.

(٢)إبعاد دور الدين الإسلامي وإضعافه في بناء الدول والمجتمعات العربية والإسلامية من خلال تشويه مفاهيم الشريعة الإسلامية الحقة وتغييب القيم الإنسانية العظمى للإسلام عن وعي الناس بتشجيع فقه الغيبيات والشكليات وإنعاش الفكر الخرافي والخزعبلات الدينية وإثارة الشبهات الضالة حول الرسول الكريمﷺ وصحابته وتأويل الأحداث الدينية تأويلا مغايرا للمقاصد الإسلامية والإيحاء بقطع الصلة بالتراث الإسلامي ووصمه بالرجعية والتخلف بشتى الأساليب.

(٣) عرض النزعات والدعوات البراقة للحداثة الأوروبية والعلمانية الغربية بإدخال مجموعة من التقاليد الاجتماعية الغربية في العادات والفكر والآداب والفنون التي لم يألفها العرب المسلمون من قبل وذالك بغرض الإبهار والإغواء والتحريف والتغريب وضرب الأصالة في تقاليدنا وفكرنا وفنونا بالتقليل من تراثنا وآدابنا وديواننا الشعري العظيم بالانتقاد والإهمال والاغتراف من أشتات حثالات الفكر الفردي الأوروبي المأزوم بالضياع والأنانية والعبثية واللامعقول والتيه العقائدي الذي ينقله الحداثيون لنا كل يوم مع كل موجة وهوجه قادمة من الترف الغربي .

(٤)السيطرة والتأثير على مناهج التعليم ووسائل الإعلام في جميع البلدان العربية والإسلامية وإعادة إنتاجه وصياغته بما يؤدي إلى البلبلة الفكرية واهتزاز الهوية الوطنية وطمس التاريخ الإسلامي بشموخه وعزته وحضارته وإبعاد الفكر العلمي والموضوعي عن حياتنا الذي تقوم عليه الحضارة العلمية والعملية وكافة أشكال التطور المادي وذلك بالتقتير والحرص والحرمان في نقل العلوم الطبيعية والتكنولوجيا الراقية إلى العالم العربي والإسلامي وطلابه وإباحتها لأعداء الأمة العربية وتعطيل كل مشروع أهلي أو حكومي في هذا المجال من خلال تولية أتباعهم التغريبيين مواقع متنفذة الذين لا هم لهم إلا إضعاف مواد اللغة العربية والتاريخ الإسلامي ومواد العلوم الطبيعية والتجريبية في مجالات التعليم المختلفة.

(٥)محاربة اللغة العربية الفصحى وتخريبها على كافة المستويات (لغة القرآن والسنة) وإنعاش اللهجات العامية وإدخال اللغات الأجنبية على كافة المستويات قدر المستطاع لأن الهوية العربية الإسلامية قائمة في مضمونها على عقائد الإسلام وشكلها قائم على اللغة العربية الفصيحة وآدابها، وهم بهذا يهدفون إلى ضرب الشكل والمضمون لهوية العرب لكي يصبحوا في حكم المسوخين الذين يسهل التلاعب بهم وتطويعهم وتشتيتهم اجتماعيا وإقليميا.

(٦) إحلال نظم للحكم والإدارة وفقا للقوانين الأوروبية محل الشريعة الإسلامية وتراثها وأعرافها الأصيلة بحيث تكون الدول في البلدان العربية ضعيفة في تلاحمها وتراحمها مع شعوبها ومبتورة عن أصولها ومرتبطة بجذور أجنبية بطرق مفتعلة ومصطنعة فتكون نتائج أعمالها سلبية وفاشلة في التطبيقات الشكلية للديمقراطية الغربية كما أنها تحدث بعض الاختلالات الاجتماعية والاقتصادية لعدم انسجامها ومواءمتها مع قواعد وقوانين العلاقات الاجتماعية والاقتصادية في النظام الإسلامي .

(٧) التركيز على حضارات الشرق القديمة في الحفريات والمقابر والتماثيل والآثار والانبهار السياحي بسحر الشرق الرومانسي والتغني به من جانبهم صوفيًا لتتقبل منهم العشق الاستعماري الروحي خضوعًا وطوعًا وتمزيقنا فرقًا بعيدًا عن وشائج

العروبة وشريعة الإسلام بدفعنا إلى غياهب التاريخ البعيد وسراديبه المظلمة قبل الإسلام لاحتضان أقوام فرعون ونمرود وعاد وثمود لإحياء نزعات إقليميه جاهلية محنطة علها تساعد على الدفع إلى المجهول مع أن التاريخ لا يبقى منه في الوعي الشعبي العام إلا ما ينفع الناس أما الزبد فيذهب جفاء.

(٨) تعظيم وتوسيع العمل الاستشراقي لمآرب سياسية واستعمارية استخرابية فكما نعلم فإن الاستشراق الاصيل هو ميل واهتمام بعض الدارسين الغربيين وانشغالهم بمعرفة ثقافة الآخر وحضارته وأصالته ومساهمتهم فيها. غير أن الدول الأوروبية رأت أن التغلغل بالاستشراق السياسي هو أداة فعالة في الغزو والسيطرة الهادفة إلى إضعاف الشعوب الأخرى والتحكم فيها، ولذلك أعدوا كتائب من المستشرقين في مختلف المجالات فهذا متخصص في تحطيم اللغة العربية وذاك متخصص في تشويه التاريخ العربي والإسلامي وذلك متخصص في معرفة التركيب الطائفي والمذهبي والقبلي وغيره متخصص في العقائد والعادات والشعائر وهلم جرا. وكلها تستخدم بحسب الأحوال والظروف في سياسات الفتن والتمزيق والتفريق والإضعاف والتضليل للشعوب والدول حتى تضل أسيرة للضعف الداخلي وراضخة للنفوذ الخارجي.

ولتقوية حملة الاستشراق السياسية رأى الغرب الاستعماري أنه لا بد من أن ترافق هذه الحملة الاستشراقية حملة استغرابية من داخل الدول العربية والإسلامية من خلال تأثير على مجموعة من قادة الفكر والثقافة ، بل وحتى أعدادها في العالم العربي والإسلامي من بين المنبهرين بالحضارة الغربية لأسباب مختلفة وتحفيزهم بشتى الوسائل حتى يقوموا بالتغريب أما بواسطة إقناع الناس بعظمة الحضارة الغربية والمطالبة بالذوبان فيها بطريقة ساذجة وواهمة أو بالتهجم والتقليل من مكونات الحضارة العربية الإسلامية واتجاهاتها، وقد استطاعوا أن ينجحوا في ذلك قليلا بعض الوقت إلا أن رد الفعل العربي والإسلامي كان قويا وصلبا باستثناء قلعة الخلافة العثمانية التي سقطت طويلا تحت هذا الوهم حتى أفاقت أخيرا على سقوط مآذنها ومذابح أهليها في البلقان وإيصاد باب أوروبا في وجهها. غير أن هذه الحملة

الاستشراقية والتغريبية مازالت تفعل فعلها الخفي والبطيء بمختلف الأقنعة.

(٩) يقول المؤرخ الدكتور قاسم عبده قاسم في كتابه (ماهية الحروب الصليبية): "إن حصاد المواجهة الإسلامية/الصليبية كان سلبيًا على الجانب العربي/الإسلامي، إذ تعين على المنطقة أن تحشد كل مواردها وإمكاناتها في خدمة المجهود الحربي، وكان الإفراز السياسي هو نموذج الدولة العسكرية الإقطاعية، وقد نجحت هذه الدولة – التي تطورت نُظمها عبر سنوات طوال من التجارب والخبرات السياسية والعسكرية- في مهمتها التاريخية، وضرب الوجود الصليبي حقًا، ولكنها فشلت في إدارة المجتمع على أسس مدنية. وحين تدهور نظامها السياسي بدأت تمارس التسلط على شعوبها وهو الأمر الذي أدخل المنطقة في منحنى التدهور الحاد منذ القرن(٩) التاسع الهجري/ (١٥)الخامس عشر الميلادي".وحينما لاحظ الغرب أن انحطاط الأمة العربية الإسلامية المستمر ناشئ عن قيام الحكم العسكري أو الدكتاتوري الذي تتطلبه المواجهات الحربية مع الأعداء الصليبيين رأوا أن أحسن طريقة لتجنب الخطر العربي الإسلامي المجاور لأوروبا هو مشاغلتها بعدو صليبي دائم في عقر دارها فكان نابليون أول من فكر في نقل يهود أوروبا إلى فلسطين فتبنى الفكرة أعمدة الاستعمار البريطاني حتى حققوها في وعد بلفور بعد إسقاط الخلافة العثمانية الإسلامية وإقامة الدولة العسكرية القومية العلمانية المعادية للإسلام في تركيا منذ ذلك اليوم بعد أن كانت قائدة للخلافة العثمانية الإسلامية لعدة قرون.

(١٠) تم غرس حربه صليبية على رأسها نجمة داود في شكل دولة صهيونية عسكرية في فلسطين لفصل المشرق عن المغرب من الوطن العربي ومشاغلة الأمة العربية بالتحدي والعدوان من خلال قاعدة استيطانية ظاهرها الصراع الديني وباطنها الاستعمار الإمبريالي الغربي بحيث يكون رد فعل المحيط العربي إقامة "نموذج الدولة العسكرية" التي لم تنجح إلا في تحطيم أصول الديمقراطية الإسلامية وتشويه مفاهيم الديمقراطية الغربية ثم الفشل في إدارة المجتمع المدني وإبقاء الشتات والفُرقة والضعف والهوان لأمة قامت شامخة بالإسلام في الماضي لتنبطح اليوم بدون الإسلام بقيادة الرويبضات في مذلة وعبودية بحيث تطمئن أوروبا منها بعد كسر الهلال

الإسلامي حولها الذي يمتد من إسطنبول إلى طنجة. فكما هو معروف للجميع فإن إسرائيل التي على شكل خنجر في قلب الوطن العربي،زرعتها بريطانيا وربتها فرنسا وتبنتها أمريكا فهي تعكس الشراكة الغربية في التآمر على الإسلام والعروبة.

وحين ناضلت الشعوب العربية والإسلامية للتحرر من الاستعمار الأوروبي فإنه استطاع بتأثيراته الحضارية وقدراته المختلفة أن يعيد نموذج "الدولة العسكرية"- أي الدولة الدكتاتورية سواء كانت بزي مدني أو عسكري- للحكم في جميع الدول العربية والإسلامية حتى تتكرر نتيجة الحروب الصليبية فتفشل الدولة العسكرية التي هي بطبيعتها دكتاتورية في إدارة المجتمع على أسس مدنية أي أنها لا تستطيع تطبيق الديمقراطية الإسلامية فيتدهور نظامها السياسي وتمارس التسلط والاستبداد على شعوبها وتكون النتيجة هي أن تصبح مؤهلة للسقوط والوقوع في شباك النفوذ والتبعية والعبودية اقتصاديًا واجتماعيًا وثقافيًا كما نراها اليوم في سياسات الهوان والمذلة للدول العربية.

إن النسب حق أساسي من حقوق الحياة وما لم ننتسب لجذورنا وأصولنا في العروبة والإسلام ونؤسس عليها مداميك نهضتنا فلن تقوم لنا قائمة، فكل ارتباط بالعصر لا يقوم إلا على اتصال بالأصل، وهو ما ينطبق على كل عمل أو إنجاز صحيح في الحياة حتى ولو كان ظاهره في شكل ثورة.